

باريس

يوم الخميس في ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٠١ و ٢٤ افريل سنة ١٨٨٤

ان للحكومة الانكليزية شأنًا في المسئلة المصرية يخال للناظر فيه انها في تردد بين احجام واقدام وان مقارعة الاراء واختلاف الالهواء يزداد بين سكان بريطانيا كلما ازدادت الخطوب شدة في مصر . نعم ان ارباب الرأي في الامة الانكليزية فريقان فريق منهم يدفع حكومته الى الاعلان بسيادتها على الديار المصرية واستلام ادارتها وبعبارات اخرى الى ضمها لاملاكها ويحملها بذلك على غمط حقوق الدولة العثمانية واعالي القطر المصري والاستهانة بحقوق الدول جميعاً وهذا فريق الجمعيات والشركات المالية ويذهب بعضهم بعض الوزراء وينصر ارائهم عدة من الجرائد اشهرها جريدة التمس واشتدادهم في صخبهم ونعيرهم نبه الافكار واقلق الخواطر في الامة الفرنسية فانطلق لسان جرائدها بالوعيد والتهديد وصرحت الجرائد الوزارية منها وجرائد الاحزاب الجمهورية وهي ذات السلطة في البلاد الفرنسية بان حكومة فرنسا وان كانت غضت طرفها عن اعمال انكلترا في القطر المصري من يوم حملتها عليه الى الآن ولكنها لا تهمل شيئاً من مصالحها

وحقوقها وجميع الدول الاوربية تعزها وليس لانكلترا في مصر ماتماز به عن بقية الدول ومن الجهل ان يظن سيامي في المسئلة المصرية انها مصرية او انكليزية او فرنساوية فانما هي مسئلة اوربية وقد اقتربت الساعة التي تجهر فيها الدول بالدافعة عن حقوقها في الاقطار المصرية ان للدول حقا في التداخل لحل هذه المشاكل بعد ما عجزت انكلترا عن القيام بما تعهدت به من اقرار الراحة في مصر فان الفوضى في هذه الايام اشد منها في زمن الحركة المعروفة بالعسكرية وفتنة السودان تلاطمت امواجها على حدود مصر والهواء الاصفر يوشك ان تكون له رجعة الى تلك البلاد السيئة الحظ وما هذا كله الا من اثار الحلول الانكليزي في وادي النيل اما ان ارادت دولة انكلترا ان ترسم بسيادتها وترفع اعلام حمايتها على القطر المصري فما للدول من حق التداخل يصير فرضاً لازماً وضربة لازب لا يحصى عنها . الا ان كل هذه التهويلات لم تعدل بذلك الفريق الانكليزي عن مقصده ولم تتحول به عن مشربه فلا تزال جرائمهم تنعق بطلب الحماية على مصر وهم في عى عن العوائق والموانع التي تصد حكومتهم عن الانصياع اليهم اما الفريق الاخر من الامة الانكليزية ومنهم ناظر داخلية انكلترا ومستر غلادستون فيما يقال فيظفرون التعفف والزاهدة بل يصرحون في خطبهم بان حكومة بريطانيا لا تستطيع احتمال ادارة البلاد المصرية وليس في امكانها ضمها الى املاكها ولو همت بذلك

لرأت من الدول اشد الممانعة وربما رجعت بالخيبة على انها تكون قد
سنت سنة سيئة في نقض العهود واخلاف الوعود وفتحت للدول هذا
الباب باب الشر والعدوان . هذا ما ينطقون به على منابرهم ويزعمونه
نبا عما في خواطرهم ولكن هولاء المتعففون لم في كل وقت عمل لتمكين
اقدامهم في مصر ولا يخالفون الفريق الاول الا في شقاشق الالسن
هولاء هم الذين حولوا الادارات المصرية ودوائر حكومتها العليا الى
السيرية واستلما زمام العسكرية والمالية وادارة الداخلية والمحاكم
القضائية وتصرفوا في اعمالهم تصرف الملاك فاستبدوا على المتوظفين
من المصريين وغلوا ايديهم عن تعاطي اشغال وظائفهم حتى آل بهم
الامر الى ما صرحت به الجرائد الانكليزية من انهم اشباح ورسوم
تلوح بين جدران الدواوين غدوة وعشيا . هولاء هم الذين يحاول
نوا بهم ومأمورهم في القطر المصري ان يلزموا اهاليه بتحرير محضر
يلتمسون فيه حماية انكثرا وسيادتها عليهم وان لم تنجح الحيلة . هولاء
هم الذين هموا الان بتغيير نظام المالية المصرية ورغبوا الى الدول في
عقد مؤتمر بلوندره لتغيير قانون التصفية ويريدون ان يجعلوا ذلك
زريعة للاتفاق مع الدول على ان تكون الديون المصرية باسرها تحت
ضمانتهم لتقوم لهم الحجة في الاستيلاء على مصر بعد زمن قصير او
طويل او ليمهدوا به طريقا لمن يخلفهم في الوزارات الانكليزية ينتهي
بالسير فيه الى تلك الغاية بعينها وما طلبوا المساجور بارين وكليهم

السيامي في القطر المصري الا ليحضر هذا المؤتمر

هذا ما يهيه الانكليز لانفسهم ولكن ماذا تعده الحوادث لهم .
 كتبوا على انفسهم تخفيف مصائب الحكومة المصرية في السودان
 وعقدوا لقوادهم الالوية واعدوا لهم العدد وكتبوا الكتاب فسفكت
 دماؤهم بعد ماضل سعيهم . ظنوا ان بعض رزاياهم في سواحل البحر
 الاحمر فرصة للاستيلاء على السودان الشرقية فبعد الجهد ومعاونة الكفاح
 من عراة العرب تمكنوا من الرجوع بالخبية . قنعوا بالاعتصام في
 حصون القاهرة وما يليها فازعجهم دوي السيل المندفع عليهم من
 الجهة الجنوبية واغارة ثائرة السودان على شديي واقتاحها
 واشتداد الحملة منهم على بربر وخرطوم وذادهم خوفا ورهبة
 انتقاض كثير من القبائل على مقربة من وادي حلفا وايي حمد
 واوشكت طائشة الفتنة ان تاخذ بقلوب الاهالي فيما تحت اصوان
 وافزعهم ما احسوه من اهلي القاهرة ومصر السفلى من تحول القلوب
 وضيق الانفس حتى اضطروا لزيادة الحرس فيها مع ان زيادة المعهود في
 المصريين انهم اهل السلم والراحة . قصدوا بكل هذا حماية طريق
 الهند خوفا على الهند فبعد ما ورد اليها من اصدقائنا في لاهور ان لدعوة
 محمد احمد في قلوب المندبين منزلة وانه لو لم يكن مهديا فالضرورة
 قاضية عليهم باعتقاده كذلك عسى ان يكون في هذا الاعتقاد جمع
 لكتهم على التخلص من رق الانكليز جاءت التلغرافات شاهدة على

صدق ما كتب الينا في الاخبار التلفزيونية ان رجال الشرطة في سملا وجدوا اعلانات ملصقة على جدران المدينة مما كتب فيها اغراء المسلمين باجابة دعوة محمد احمد والقيام بنصرته وسملا هي في اخر الممالك الهندية الانكليزية من جهة الشمال الشرقي على القرب من لاغور . وهذا ما كما نخشاه ونهنا عليه مراراً . وربما تكون هذه الصدمات الشديدة التي صدعت انكلترا بعد استئصال امر محمد احمد كافية في اذعانها بان عاقبة الثورة السودانية اشد خطراً عليهما من عاقبة الحركة التي سموها عرابية رام الانكليز بكل هذه الاحتياطات المفيدة ان يقرروا الراحة في مصر فاذا الاموال تنهب والحقوق تضيع والادارات في فساد والتجارة في كساد والزراعة في بوار والظلم في اشتداد والامن مسلوب حتى على الارواح والاعراض كل هذا باعتراف جرائدهم ووزائهم وشهادة الجرائد المصرية الوطنية واجمع السياسيون في اوربا وجرائد العالم بعد اجماع الامة المصرية باسرها على ان الشقاء الذي الم باهل مصر بعد تداخل الانكليز ناشئ عن هذا التداخل لم يرزوا به في زمن من الازمان من عهد محمد علي الى الان . فانعم بهذه الوسائل التي اعدتها الانكليز لتقرير الراحة في مصر واجمل بالوسائط التي استعملوها لحماية الهند .

هذه بدايات القلاقل وبوادر المخاطر التي نشأت من شدة احتراس الانكليز وحرصهم على وقاية املاكهم او توسيعها يظهر من جميعتهم اذا صاح بهم دأبي الحرب وحيرتهم من اين يخذلون الجنود هل من

الهند او انكلترا ومن موازينهم العسكرية ان ليس لهم قوة برية لحفظ الممالك الواسعة فكيف يستطيعون التصرف في مصر لو سادوا عليها وهي كما قال ناظر داخلتهم تحسب مملكة اورية لا تسود فيها الاوهام ولا تدوم فيها سلطة الحيل ان لم يكن من المصريين فمن الاوربيين واي قوة تصون لهم الهند من فتنة اذا امتد زمن الاضطراب في مصر وقد جانا من اخبار الهند ان عموم المسلمين في هياج وبخشي ان ثور فيهم نائرة عندما يتقدم محمد احمد خطوة اخرى

هذه العواقب السيئة وما يتوقع من مثلها او اسواء منها لدولة انكلترا انما هي حاققات في سلسلة اغلاطها من استيلائها على قبرص فانها اختلست تلك الجزيرة لمراقبة طريق الهند فنافستها فرنسا واستولت على تونس فتخوفت على قنال السويس ان يساق اليه جيش بري من افريقيا الغربية فسعت في الايقاع بين الجند والحاكم في مصر وتذرعت بذلك للغارة عليها فنزل بها في تلك البلاد ما نزل

وبعث ذلك دولة فرنسا على ما بلغنا من مصدر يوثق به الى السعي في طريق يوصلها الى مناكبة الانكليز في مصر على الحدود الغربية وورما جرت هذه المنافسات الى فتح المسئلة الشرقية وليس بقليل ما يصيب انكلترا من مضار هذه المسئلة فاي ثمرة جنتها انكلترا مما غرسته في هذه السنين الاخيرة لا هي صانة باب الهند من الخطر كما تروم ولا هي سكنت قلوب الهنديين وانما طرقت ابوابا كانت مغلقة

ويوشك ان تفتح ولئن فتحت فانها تحدث زلزالاً في اركان العالم بأسره .
هذا شان الانكليز وما يفعلون

ويوجد اناس لهم مدخل في ثقلب الاحوال المصرية ولهم مذاهب
مختلفة في ترويج مقاصدهم لدى المصريين يمنونهم بالخلاص من ايدي
الانكليز اذا آل اليهم السلطان في مصر بل يؤكدون لهم انه لو ثبتت
اقدامهم في الديار المصرية لاحتبطوا مساعي انكثرتا في عموم البلاد
الشرقية وسعوا في تقليص ظلها من المشرق بأسره اخذاً بثأرهم منها
فهولاء سنأتي علي احوالهم وتبين طرق سيرهم في اعمالهم حتى يكون
ذوو الامال فيهم علي بصيرة من امرهم

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
ولا تتبعوا من دونه اولياء

✽ التعصب ✽

لفظ شغل مناطق الناس خصوصاً في البلاد الشرقية تلوكة
اللسن وتري به الافواه في الحافل والجامع حتى صار تكاة للتكلمين
يلجاء اليه العي في تهتهة والذملقاني في تفيهقه . اخذ هذا اللفظ
بمواقع التعبير فلما تكون عبارة إلا وهو فاتحتها او حشوها او خاتمتها

يعدون مسماء علة لكل بلاء ومنبعا لكل دناء ويزعمونه حجابا كشيئا
وسدا منيعا بين المتصفين به وبين الفوز والنجاح ويجعلونه عنوانا على
النقص وعلماء للرزائل والمتسر بلون بسرايل الافرنج الذاهبون في تقليد
مذاهب الخط والخلط لا يميزون بين حق وباطل هم احرص الناس على
التشديق بهذا البدع الجديد فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون
الروس ويعثون باللحاء ويبرمون السبال واذا رموا به شخصا للخط من
شانه اردفوه للتوضيح بلفظ افرنجي (فثايتك) فان عهدوا بشخص
نوعا من المخالفة لمشرعهم عدوه متعصبا وهمزوا به وغمزوا ولمزوا واذا
رأوه عبسوا وبسروا وشمخوا بانوفهم كبرا وولوه دبرا وناذوا عليه بالويل
والثبور . ماذا سبق الى افهامهم من هذا اللفظ وماذا اتصل بعقولهم من
معناه حتى خالوه مبداء لكل شناعة ومصدرا لكل نقيصة وهل لهم وقوف
على شيء من حقيقته

التعصب قيام بالعصبية والعصبية من المصادر النسبية نسبة الى
العصبه وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدافعون عنه الضيم
والعداء فالتعصب وصف للنفس الانسانية تصدر عنه نهضة لحماية من
يتصل بها والذود عن حقه ووجوه الاتصال تابعة لاحكام النفس في
معلوماتها ومعارفها

هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب واقام بناء الامم وهو
عقد الربط في كل امة بل هو قوة المزاج الصحيح يوحد المتفرق منها

تحت اسم واحد وينشئها بتقدير الله خالقاً واحداً كبدن تالف من اجزاء
وعناصر تدبره روح واحدة فتكون كشخص يمتاز في اطواره وشوئته
وسعادته وشقائه عن سائر الاشخاص

وهذه الوحدة هي مبعث المبارات بين امة وامة وقبيل وقبيل
ومباهاة كل من الامتين المتقابلتين بما يتوفر لها من اسباب الرفاهة وهناء
العيش وما تجمعها قواها من وسائل العزة والمنعة وسمو المقام ونفاذ الكلمة
والتنافس بين الامم كالتنافس بين الامتخاص اعظم باعث على بلوغ
اقصى درجات الكمال في جميع لوازم الحياة بقدر ما تسعه الطاقة .

التعصب روح كلي مهبطه هيئة الامة وصورتها وسائر ارواح
الافراد حواسه ومشاعره فاذا لم باحد المشاعر ما لا يلائمه من اجنبي
عنه انفعل الروح الكلي وجاشت طبيعته لدفعه فهو لهذا مثار الحمية
العامة ومسر النعرة الجنسية . هذا الذي يرفع نفوس آحاد الامة عن
معاطاة الدنيا وارتياب الحيانات فيما يعود على الامة بضرر او يؤول بها
الى سوء عاقبة وان استقامة الطباع ورسوخ الفضيلة في امة تكون على
حسب درجة التعصب فيها والالتحام بين آحادها . يكون كل منهم
بمنزلة عضو سليم من بدن حي لا يجد الراس بارتفاعه غنى عن القدم
ولا يرى القدمان في تطرفهما انحطاطاً في رتبة الوجود وانما كل يرى
وظائفه لحفظ البدن وبقائه

كلما ضعفت قوة الربط بين افراد الامة بضعف التعصب فيهم

استرخت الاعصاب ورثت الاطناب ورقت الاوتار وتداعى بناء الامة
الى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنية الى الفناء بمد هذا يموت
الروح الكلبي وتبطل هيئة الامة وان بقيت آحادها فما هي الا كالاخزاء
المتناثرة اما ان لتصل بابدان اخرى بحكم ضرورة الكون واما ان تبقى
في قبضة الموت الى ان ينفخ فيها روح النشأة الاخرة . سنة الله في
خلقه اذا ضعفت العصبية في قوم رماهم بالفشل وغفل بعضهم عن بعض
واعقب النلة تقطع في الروابط وتبعه تقاطع وتدابر فيتسع للاجانب
والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى
يعيدهم الله كما بداعى بافاضة روح التعصب في نشأة ثانية

نعم ان التعصب وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال وطرفا
افراط وتفریط واعتداله هو الكمال الذي بينا مزاياه والتفریط فيه هو
النقص الذي اشرنا الى رزاياه والافراط فيه مذمة تبعث على الجور
والاعتداء فالمرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق
ويرى عصيته منفردة باستحقاق الكرامة وينظر الى الاجنبي عنه كما ينظر
الى الحمل لا يعترف له بحق ولا يرعى له ذمة فيخرج بذلك عن جادة
العدل فتقلب منفعة التعصب الى مضرة ويذهب بهاء الامة بل
يتقوض مجدها فان العدل قوام الاجتماع الانساني وبه حياة الامم وكل
قوة لا تخضع للعدل فمعيرها الى الزوال وهذا الحد من الافراط في
التعصب هو الممقوت على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله

ليس منا من دعا الى عصبية الحديث . التعصب كما يطلق ويراد منه النعرة على الجنس ومرجعها رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد . كذلك توسع اهل العرف فيه فاطلقوه على قيام المنتحمين بصلة الدين المناصرة بعضهم بعضا والمنتطعون من مقلدة الافرنج يخصون هذا النوع منه بالقت ويرمونه بالتعس . ولا يخال مذهبهم هذا مذهب العقل . فان الحمة يصير بها المتفرقون الى وحدة تبعث عنها قوة لدفع الغائلات وكسب الكمالات لا يختلف شأنها اذا كان مرجعها الدين او النسب وقد كان من تقدير العزيز العليم وجود الرابطتين في اقوام مختلفة من البشر وعن كل منهما صدرت في العالم آثار جليلة يفتخر بها الكون الانساني وليس يوجد عند العقل ادنى فرق بين مدافعة القريب عن قريبه ومعاونته على حاجات معيشته وبين ما يصدر من ذلك عن المتلاحمين بصلة المعتقد ورابطة المشرب .

فتعصب المشتركين في الدين المتوافقين في اصول العقائد بعضهم لبعض اذا وقف عند الاعتدال ولم يدفع الى جور في المعاملة ولا انتهاك لحزمة المخالف لهم او نقض لذمته فهو فضيلة من اجل الفضائل الانسانية واوفرها نفعاً واجزلها فائدة بل هو اقدس رابطة واعلاها اذا استحكمت صعدت بذوي المكنة فيها الى اوج السيادة وذروة المجد خصوصاً ان كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين واشتدت سطوته على الاهواء الجنسية حتى اشرف بها على الزوال كما في اهل الديانة

الاسلامية على ما اشرنا اليه في العدد الثاني من جريدتنا.

ولا يؤخذ علينا في القول بانه من اقدس الروابط فانه كما يطمس
رسوم الاختلاف بين اشخاص وآحاد متعددة ويصل ما بينهم في
المقاصد والعزائم والاعمال كذلك يمحو اثر المنابذة والمنافرة بين القبائل
والعشائر بل الاجناس المتخالفة في المنابت واللغات والعادات بل
المتباعدة في الصور والاشكال ويحول اهوائها المتضاربة الى قصد واحد
وهو تاصيل المجد وتأييد الشرف وتخليد الذكر تحت الاسم الجامع لهم.
هذا الاثر الجليل عهد لقوة التعصب الديني وشهد عليه التاريخ بعد ما
ارشد اليه العقل الصحيح وما كانت رابطة الجنس لتقوى على شيء منه
تفتن جماعة من متزندقة هذه الاوقات في بيان مفسد التعصب
الديني وزعموا ان حمية اهل الدين لما يؤخذ به اخوانهم من ضيم وتضافرهم
لدفع ما يلزم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدمهم عن
السير الى كمال المدنية ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ويرمي بهم في
ظلمات الجهل ويحملهم على الجور والظلم والعدوان على من يخالفهم في
دينهم ومن راي اولئك المتفقيين ان لا سبيل لدرك المفسد واستكمال
المصالح إلا بانحلال العصبية الدينية ومحو اثرها وتخليص العقول من
سلطة العقائد وكثيراً ما يرجفون باهل الدين الاسلامي ويخوضون في
نسبة مدام التعصب اليهم

كذب الخراصون ان الدين اول معلم وارشد استاذ واهدى قائد

للافتس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف وارحم مؤدب
وابصر مروض يطبع الارواح على الاداب الحسنة والحلائق الكريمة
ويقسمها على جادة العدل وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة خصوصاً دين
الاسلام فهو الذي رفع امة كانت من اعرق الامم في التوحش والقسوة
والخشونة وسماها الى ارقى مراقي الحكمة والمدنية في اقرب مدة وهي
الامة العربية

قد يطرأ على التعصب الديني من التغالي والافراط مثل ما يعرض
على التعصب الجنسي فيقضي الى ظلم وجور ربما يؤدي الى قيام اهل
الدين لابادة مخالفهم وبحق وجودهم كما قامت الامم الغربية واندفعت
على بلاد الشرق لمحض الفتك والابادة لا للفتح ولا للدعوة الى الدين
في الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب كما فعل الاسبانوليون بمسلمي
الاندلس وكما وقع قبل هذا وذاك في بداية ما حصلت الشوكة
للدين المسيحي ان صاحب السلطان من المسيحيين جمع اليهود في القدس
واحرقهم إلا ان هذا العارض لمخالفته لاصول الدين قلما تمتد له مدة ثم
يرجع ارباب الدين الى اصوله القائمة على قواعد السلم والرحمة والعدل
اما اهل الدين الاسلامي فمنهم طوائف شطت في تعصبها في
بعض الاجيال الماضية الا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون
فيه الابادة واخلاء الارض من مخالفهم في دينهم وما عهد ذلك في
تاريخ المسلمين بعد ما تجاوزوا حدود جزيرة العرب ولنا الدليل الاقوم

على ما تقول وهو وجود الملل المختلفة في ديارهم الى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم في عنفوان القوة وهي في وهن الضعف نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة على من يعارضهم في سلطانهم إلا أنهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الاديان ويرعون حق الذمة ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه ويدفعون عنه غائلة العدوان ومن العقائد الراسخة في نفوسهم ان من رضي بدمتنا فله مالنا وعليه ما علينا ولم يعدلوا في معاملتهم لغيرهم عن امر الله في قوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين الا مالا تخلصوا عنه الطبائع البشرية ومن نشأ المسلمين الى اليوم لم يدفعوا احد من مخالفهم عن التقدم الى ما يستحقه من علو الرتبة وارتفاع المكانة ولقد سما في دول المسلمين على اختلافها الى المراتب العالية كثير من ارباب الاديان المختلفة وكان ذلك في شيبته وكال قوتها ولم يزل الامر على ما كان وفي الظن ان الامم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الى اليوم (فسيحقا تقوم يظنون ان المسلمين بتعصبيهم يمنعون مخالفهم من حقوقهم)

لم يسلك المسلمون من عهد قريب مسلك الالزام بدينهم والاجبار على قبوله مع شدة باسهم في بدايات دولهم وتغلغلهم في افتتاح الافطار واندفاع همهم للبسطة في الملك والسلطة وانما كانت

لهم دعوة يبلغونها فان قبالت والا استبدلوها برسم مالي يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب الفقه الاسلامي هذا على خلاف متصرة الرومانيين واليونانيين ايام شوكنهم الاولى فانهم ما كانوا يطاؤون ارضا الا ويلزمون اهلها بجمع اديانهم والتطوق بدين اولئك المتسلطين وهو الدين المسيحي كما فعلوا في مصر وسوريا بل في البلاد الافرنجية نفسها .

هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان وفيه تبصرة لمن يتبصر وتذكرة لمن يتذكر ثم اعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصده هل لعاقل لم يصب برزية في عقله ان يعد الاعتدال من التعصب الديني نقيصة وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسي الا بما يكون به التعصب الديني اقدس واطهر واعم فائدة . لانخال عاقلاً يرتاب في صحة ماقرنا فما لاولئك القوم يهذرون بما لا يدرون اي اصل من اصول العقل يستندون اليه في المفاخرة والمباهاة بالتعصب الجنسي فقط واعتقاد فضيلة من اشرف الفضائل ويعبرون عنه بحجة الوطن واي قاعدة من قواعد العزمان البشري يعتمدون عليها في التهاون بالتعصب الديني المعتدل وحسابه نقيصة يجب الترفع عنها .

نعم ان الافرنج تأكد لديهم ان اقوى رابطة بين المسلمين انما هي الرابطة الدينية وادركوا ان قوتهم لا تكون الا بالعصبة الاعتقادية ولا ولئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين واوطانهم فتوجهت عنايتهم

الى بث هذه الافكار الساقطة بين ارباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم
هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية
ويمزقونها شيعا وأحزابا فانهم علموا كما علمنا وعلم العقلاء اجمعون ان
المسلمين لا يعرفون لهم جنسية الا في دينهم واعتقادهم وتسني للمفسدين
نجاح في بعض الاقطار الاسلامية وتبعهم بعض الغفل من المسلمين
جهلاً وتقليداً فساعدوهم على التنفير من العصبية الدينية بعد ما فقدوها
ولم يستبدلوها برابطة الجنس التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حقاً
منهم وسفاهة مثلهم كمثل من هدم بيته قبل ان يبني لنفسه مسكناً
سواء فاضطر للاقامة بالعراء معرضاً لفواعل الجو وما تصول به على حياته
من هذا ما سلك الانكليز في الهند لما احسوا بخيال السلطنة
يطوف على افكار المسلمين منهم لقرب عهدهما بهم وفي دينهم ما يبعثهم
على الحركة الى استرداد ما سلب منهم وارشدتهم البحث في طبائع الملل
الى ان حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية وما دام الاعتقاد الحمدي
والعصبية المليية سائدة فيهم فلا تومن بعثتهم الى طلب حقوقهم فاستهوا
طائفة من يسمون بسملة الاسلام ويلبسون لباس المسلمين وفي صدورهم
غل ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة وهم المعروفون في البلاد الهندية
بالنجارية اي الدهريين فاتخذهم الانكليز اعواناً لهم على افساد عقائد
المسلمين وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك نار حميتهم
ويخمدوا نائرة غيرتهم ويبددوا جمعهم ويمزقوا شملهم وساعدوا تلك

الطائفة عَلَى انشاء مدرسة كبيرة في (سليكر) ونشر جريدة لبث هذه
الاباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف في العقائد وترث اطباب الصلات
بين المسلمين فيستريح الانكليز في التسلط عليهم وتطمئن قلوبهم من
جهتهم كما اطمانت من جهة غيرهم وغراولئك الغفل المتزندقين ان
رجال دولة بريطانيا يظهرون لهم رعاية صورية ويدنونهم من بعض
الوظائف الخسيسة (نعم من بيع ملته بلمقته وذمته برذال العيش)
هذا اسلوب من السياسة الاوربية اجابت الدول اخباره وجنت
ثمارة فاخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم فكثير من تلك الدول
نصبت الحبال في البلاد العثمانية والمصرية وغيرها من الممالك
الاسلامية ولم تعد صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدينة
الجديدة واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم وليس عجبنا من
الدهريين والزنادقة من يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه
الاهواء الباطلة ولكننا نعجب من ان بعضا من سذج المسلمين مع بقاءهم
عَلَى عقائدهم وثباتهم في ايمانهم يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني
ويهجرون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية
الحاضرة ولا يعلم اولئك المسامحون انهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون
شانهم ويخربون بيوتهم بايديهم وايدي المارقين يطلبون محو التعصب
المعتدل وفي محو محو الملة ودفعها الى ايدي الاجانب يستبدونها
ما دامت الارض ارضا والسماء سماء

والله ما عجبنا من هولاء وهولاء. بأشد من العجب لاحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا ينجلون من تشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج اشد الناس في هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ومن القواعد الاساسية في حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح اعمالهم واذا عدت عادية مما لا يخلو منه الاجتماع البشري على واحد من على دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق سمعت صياحا وعويلا وهيئات ونباءات تتلاقى امواجها في جو بلاد المدينة الغربية وينادي جميعهم الا قد المثل مملعة وحدثت حادثة مهمة فاجمعوا الامر وخذوا الاهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لا تتخذه الجامعة الدينية وتراهم على اختلافهم في الاجناس وتبغاضهم وتحادهم وتنازحهم في السياسات وترقب كل دولة منهم لعترة الاخرى حتى توقع بها السوء يتقاربون ويتالفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في اقصى قاصية من الارض ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية

اما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يحرف حتى ياخذ مده الغاية

من حده وبذهلون عما اودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية
 والمرحمة الطبيعية كلما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة
 والحمل الزراعية وليس من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون انهم حماة
 وانصاره وليس هذا خاصاً بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون
 بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني ولا يالون
 جهداً في تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيراً ما
 تتجاوزوه . اما ان شان الافرنج في تمسككم بالعصبة الدينية لغريب .
 بلع الرجل منهم اعلى درجة في الحرية الفكرية حتى يرفعونه الى الرئاسة
 على الاحزاب الحرة كغلاستون واضرابه ثم لا نجد كلمة تصدر عنه
 إلا رفيها نفثه من روح بطرس الراهب بل لا نرى روحه إلا نسخة من
 روحه (انظر الى كتب غلاستون وخطبه السابقة) فبايتها الامة
 المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها ودماؤكم فلا تريقوها وارواحكم فلا
 تزهقوها وسعادتكم فلا تبيعوها بثن دون الموت . هذه هي روابطكم
 الدينية لا تفرنكم الوسوس ولا تستهوينكم الترهات ولا تدهشكم
 زخارف الباطل ارفعوا عظام الوهم عن باصرة الفهم واعصموا بحبال
 الرابطة الدينية التي هي احكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي
 بالهندي والمصري بالمغربي وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى ان
 الرجل منهم ليألم لما يصيب اخاه من عايات الدهر وان تنأت دياره
 وتناقصت افطاره . هذه صلة من امنن الصلات ساقها الله اليكم وفيها

عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها
 ولكن عليكم في رعايتها ان تخضعوا لسطوة العدل فالعدل اساس
 الكون وبه قوامه ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم وعليكم ان
 تتقوا الله وتلزموا اوامره في حفظ الدم ومعرفة الحقوق لاربابها
 وحسن المعاملة واحكام الالفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء
 اوطانكم وجيرانكم من ارباب الاديان المختلفة فان مصالحكم لا تقوم
 الا بمصالحهم كما لا تقوم مصالحهم الا بمصالحكم وعليكم ان لا تجعلوا
 عصبة الدين وسيلة للعدوان وذريعة لانتهاك الحقوق فان دينكم ينهاكم
 عن ذلك ويوعدكم عليه باشد العقاب . هذا ولا تجعلوا عصبتكم قاصرة
 على مجرد ميل بعضكم لبعض بل تضافروا بها على مباراة الامم في القوة
 والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة
 والفضائل والكمالات الانسانية . اجعلوا عصبتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم
 واجتماع شملكم واخذ كل منكم بيد اخيه ليرفعه من هوة النقص الى
 شاطئ الكمال وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الاسم والعدوان

هول الامر على كوردون

اخبر مراسل التمس في خرطوم ان تلك المدينة اصبحت معسكرا لاعوان
 الثورة ومضاربهم تحيطة بها من جميع الجوانب والمقذوفات من نيران اسلحتهم

تنقض على دار الحكومة بلا انقطاع والمؤنة في نقصان بين والخطر يشتد يوماً بعد يوم وبعد افراغ الوسع في اختراق صفوف الثائرين بالمراكب تسير الى بربر لفشع طريق المخامرة مع حمايتها بحظ العمل وخاب المسمى فان قوة العرباب على شواطئ النيل تصل الى المراكب بأسلحتها القاتلة وتفتك بمن فيها وتابع هذا الكلام بقوله ان الجنرال كوردون عقد العزيمة على ان يشجو بنفسه من طريق افرىقا الوسطى حيث تحقق ان حكومته غير مهتمة بانقاذه ويرى انه لا سبيل الى الاتفاق مع القبائل التي اخذت عليه طريق بربر الا بمساعدة زبير باشا (اليوم يضطر لمساعدة زبير باشا) وهو من اعدائه ولا نرى الزبير الا مسلماً لو سمحت ذمته بانقاذ حياة كوردون فلا تسمح بان يكون السودان ولاية انكليزية وفي جريدة الاكسبرابلات ان الحكومة الانكليزية ورد اليها كتاب من كوردون مفاده : ليس في طاقة احد من البشر ان ينجينا من الخطر لاننا محاطون من جميع الاطراف بالقبائل الثائرة فلم يبق لنا سوى التضرع الى الله بتبديد شملهم فان لم تسعفنا العناية الالهية باجابة دعوتنا فلا ريب ان تلك القبائل تنهب وتفتك بجميع سكان خرطوم قبل وصول نجدة انكليزية اليها . (وبيته : سأل الله تعالى حل المسئلة السودانية وفوض اليه الامر فيها واراح نفسه من السفر الى خرطوم) وجات الاخبار الاخيرة بان مدينه شندي وثي على النيل في منتصف الطريق بين بربر وخرطوم وقعت في ايدي رجال محمد احمد هذا بعد ان طلب الجنرال كوردون من حكومته ان ترسل فريقاً من الجيوش لتخليص حامية تلك المدينة وموظفي ادارتها ورأت الحكومة من الصواب ان لاترسل فلما ضاق الامر نلى الحامية ويشوا من القدرة على الدفاع ركن فريق منهم يبلغ ثلاثمائة شخص الى الفرار واندفعوا على صفوف محاصريهم لعلهم يجدون من بينها سبيلا فلم يستطيعوا ونزل بهم من امر الله . الا محميد عنه . بعث الجنرال كوردون بتلغراف الى القاهرة يشكو فيه عدم وصول الاخبار اليه من السير بارين (وكيل انكلتر السياسي في مصر) قال التمس ولعل التلغرافات التي بعث بها بارين اليه

تناولها الثائرون ومن كلام هذه الجريدة ان الحكومة الانكليزية ارسلت الجنرال الى السودان وفوضت اليه الامر فيما يفعله ليصيب بتدبيره غاية حسنة ونرى ان هذه الحكومة غلت يديها بترك الجنرال وشأنه وانه مما يلحق بها عاراً عظيماً اشتدت حملة القبايل على بربر وخرت عزائم حاميتها وسكانها واخذ اليأس بقلوبهم وورد تلغراف من مدير بربر الى الوزارة المصرية يشكو به تلك الحالة ويقول انه لا يمضي بضعة ايام حتي يفتحصها الثائرون ويحل بها من ايديهم ماحل بمدينة شندي . وبعد هذا جاء تلغراف من القاهرة مفاده ان نوبار باشا يخشى ان يمتد لسان الفتنة الى احوان في وقت قريب وانا نشاركه في هذا الخوف ونزيد عليه الاشفاق من التهاب النيران في عرصات القاهرة واطراف القطر المصري ولا حول ولا قوة الا بالله

محاولة في مصر

كل يوم يظهر من انكثرتا شأن جديد في معاملة الشرقيين والطرق التي تاخذهم بها لتضاء اوطارها من بلادهم وتلاعيمهم وتداعيمهم وتجماعهم وتلاطفهم وتعدهم وتمنيهم وتخيفهم وتوهمهم حتى تشبه عليهم مسالك الفكر وتلبس مسارح النظر ثم تحملهم بعد الدهشة على قبول سلطتها والرضا بولايتها بل على طلب ذلك منها والتماسه من كرمها وهي في كل اعمالها نهزأ بهم وتحسبهم في عدد الصبيان القاصرين او من قبيل البهم التي لا تعقل سلكت مسلكها هذا على بعض من اوربا وانفردت به في الاقطار الهندية النائية وليس لدولة من الدول احاطة بما تجربه في حكومتها لتلك البلاد ثم تطرفت في هذا المشرب فعمدت الى استعماله في تحت مضر انظار اوربا وقصدت ان تدعوا المصريين للاقرار بحمايتها ورفع التماسهم اليها لعل كرمها يسمح بمنحهم شرف سيادتها عليهم لكن الحيلة لم تذهب على المصريين ولم تختلس عقولهم تلك الشعوب فقد جاء في خبر موكد ان مأموري الحكومة الانكليزية في

مصر حاولوا تكليف الاهالي بتحرير محضر بالشمسونه حمايه دولة انكلترا ليكون التماس الاهالي حجة لديها عند الدول نقيم بها عذراً في اخلاف وعودها حتى اذا حاسبوها على تصرفها في ارض مصر وضمتها الى املاكها تدعي انها مضطرة فيما تصنع والاهالي هم الذين رغبوا اليها ذلك وهي لا تأتي قبول رغبتهم رحمة بهم ورافة هكذا نحاول ان نفعل في مصر وهي متاخمة لاوربا وفيها من الاوربيين المختلني الاجناس مايزيد على مائة الف ولا تخشي لائمة ولا تخاف عاقبة وان ظننا بالمصر بين على اختلاف طبقاتهم انهم لن يفعلوا ذلك مادامت ارواحهم في ابدانهم

رأي الجرائد الفرنسية في الانكيز

ارتفع الستار وانتهك الحجاب عن ضعف الحكومة الانكليزية ووهن عزيمتها في المسئلة المصرية ولم تبق فيه رية لمرتاب بين الدول الاوربية وانطلقت عليها الاسن وملت عليها سيوف الملام من ذلك ماهزأت به جريدة الريبوبليك فرنسيس وسخرت فيه بدولة انكلترا عند كلامها على فصل نشر في جريدة البال مال غازيت . قالت . ان ماتهددنا به الجرائد الانكليزية لاتأخذنا منه رهبة ولا ترعدنا منه خيفة بعد ان رأى الفرنسيون عجز حكومة بريطانيا عن حمايه كوردون وعلموا ان عددًا من عرب السودان اخترق صفوف الجيوش الانكليزية المنظمة وما كان لهم سلاح الا العصي والخناجر وان فرنسا لاتزال تطلب من انكلترا ان تعيد اليها ما فقدته من خط السلطة في شواطئ النيل وما ظهر من عجز انكلترا وضعفها القاضى بالحيرة والعجب لا يخفف سوء تأثيره الا بمساعدة فرنسا . فقد كليفور لويدي من المصريين مصاعد الانفاس وخنقهم بخناق من الجور وصار فيهم خلفا لعرايي (كذا) ونعم الخلف والى القوة الفرنسية فك هذا الخناق الضيق الذي كاد يقطع انفاس المصريين اما اوربا فتستريح خواطرها ويسكن اضطرابها بعد ما اقلقها ضعف الانكليز الذي لادواء له ومطامعهم التي لاحد لها . فعل انكشف للشريطين ما وضع لدى الاوربيين اولايرون عنه غافلين

خلد يعمر جديلة

اقبل الانكليز ايام الحركة السابقة على بعض المصريين وزخرفوا لهم الاماني وزبنوا لهم في المواعيد حتى استعملوهم لتذليل المصاعب بين ايديهم لدخول مصر والاستقرار فيها بعساكرهم وتم لهم ما ارادوا ثم قبلوا لهم ظهر الجن تحت استار الحجيج والتعللات وقبضوا على زمام الحكومة المصرية بصرفونها كيف يشاؤون ولما ارادت الدولة العثمانية بمالها من الحق القانوني على تلك البلاد ان تتولى حل المسئلة التي كان يعبر عنها بالعسكرة وان ترسل بعض جيوشها لاقرار الراحة في بلادها طبقاً لرغبة رعاياها مانعها الانكليز وكفوا يدها عن العمل وسبقوها اليه بدون حق شرعي ولا اصل سامي ولا رغبة عامة من اهالي القطر المصري واليوم عند اشتداد الخطب على الجنرال كوردون الانكليزي وعجز حكومته عن اتقائه وتوقيف حركة محمد احمد الجائهم الضرورة الى الرجوع لما نهىنا عليه مراراً من ان هذه الفتن لا يطعن شعلتها رذاذ السياسة الانكليزية وتمنوا لو تدخل الدولة العثمانية ببعض عساكرها في السودان لتنفذ الجنرال كوردون وتأخذ بناصية محمد احمد وتبدد شمل احزابه . هكذا رأي الجنرال في هذه الايام ان انجم الوسائل لحل المشكل تحسين جيش عثماني وسوقه الى تلك الاقطار فكتب الى صديقه سامويل باكر يرغب اليه ان يتقدم لارباب الثروة في انكلترا واميركا ويحملهم على بذل مائتي الف جنيه ليعرضوها على السلطان العثماني حتى ينفقها على الفين او ثلاثة الآف من العساكر التركية ويسيرها الى نواحي بربر وشندي ويكون بهذا انتهاء المسئلة السودانية وهدم سلطة محمد احمد وقال انه مما يعود نفعه على السلطان ايضاً

يريد الجنرال ان يخدع العثمانيين بتمثيل منافعهم كما خدع امثاله بعض المصريين وحاشاهم ان يخدعوا لمثل هذه التخللات الوهمية ومن العار عليهم ان يقبلوا ما يتكفئه الجنرال كوردون من صدقات اهل الثروة في بلاده للنفقة على

عسا كرم واشد العار ان يذهبوا بجيوشهم لتدوين بلادهم واخذاعها لسلطة الانكليز والعساكر الانكليزية حالة بحصون مصر . نعم لو اذعن الانكليز بما للدولة العثمانية من الحق وتركوا لها بلادها وفوضوا اليها اعادة الراحة فيها وامداد فتنة السودان فلا نخال الدولة لتأخر عن القيام بما يفوض اليها بل هو ما نتمناه وتسعي اليه ولعل الحوادث تلجئ دولة بريطانيا الى مثل ما لجأ اليه كوردون فنسلم الامر للملكه وما ذلك على الله بعزيز .

دسيسته اخرى

هيا الانكليز فتنة فكانت واغاروا على مصر بحجة اهادها واوثقوا الدول على ان تكون اقامتهم في الديار المصرية الى ان تستقر الراحة فيها ثم يخرجون ولكنهم بعد ما حلوها لا يزالون يسعون من يوم وطئوها الى اليوم في ايقاظ الفتن ويجهدون لافلاق الخواطر ليقدموا ما يكون من هذا عذراً لدس الدول في تطويل مدة اقامتهم بالقطر المصري لعلمهم يجدون من ثقلات السياسة الاوربية فرصة للعلول الابدي ومن ذلك ماسولوا للاروام ان يحتفلوا بعيد استقلالهم على نمط لم يسبق له نظير في الافطار المصرية من قبل وزينوا لهم ما فعلوا بما بقدرت عليه من طرق الخفية حتى انخدع الاروام لوساوسهم مع اهم احق الناس برعاية الادب وما كان مثل ذلك من مأمور به الانكليز في مصر الا ليقبلوا افكار المصريين ويحركوا الضغائن في نفوسهم وذكروهم بما كان بينهم وبين اليونانيين ايام ابراهيم باشا فيوقفوا بذلك الفتنة بين سكان القاهرة وبعض المدن المصرية وبين من ساكنهم من الملل الاجنبية ويميدوا تاريخ بعض الحوادث المشؤمة التي كادت تحي دواعيها بعد ما حدث من نحو سنتين ثم يجعلوا ما يحدث من اختلال علة لدوام الاحتلال او التسوية في الجلاء